جمعية القلم للدراسات والأبحاث
هدى للناس
وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
مؤتمر
هداياتُ القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

هداياتُ القرآن الكريم وأثرها في المحافظة على قيم التَّماسك المجتمعي، وتحقيق الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرفة

اسم الباحث/ـة

د/ نورالدين بن محمَّد تومي

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

تطرَّق هذا البحث إلى بيان أثرِ هدايات القرآن الكريم في المحافظة على قيم التَّماسك المجتمعي، وتحقيق الأمن الفكري، وكان هدفُ البحث هو إبراز كيفية استخراج ما يمسُّ قيم التَّماسك المجتمعي والأمن الفكري من آيات القرآن الكريم، وكيف يُستنار بهداياتها لتحقيق ذلك،

كما يهدف البحث إلى إزالة كثيرٍ من الفهوم الخاطئة في بابِ الاستدلال بالقرآن وقصر هداياته على بعض الأفراد والأحوال، وإظهار صلاحية آيات القرآن الكريم في هداية النَّاس وقضاياهم ونوازلهم وشمولية ذلك لكلِّ الأزمان والأماكن وعموم الإنسانية،

وتوصَّل البحث إلى نتائج من أهمها، أنَّ التأسيس للتَّماسك المجتمعي في القرآن مبنيٌّ على نشر المحبَّة والدَّعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرق وترك أسباب التَّباغض والاختلاف بين الأفراد، وتقوية التَّماسك الأسري، والنَّهي عن إثارة النَّعرات والعصبيات، والالتفاف حول ولاة الأمر،

كما كان من نتائج البحث إظهار أنَّ من مقاصد القرآن الكبرى الدَّعوة إلى تحقيق الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرفة.

مقدّمة

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على رسولِ الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه،

وبعد:

فإنَّ من أكبر مِنَنِ الله جلَّ وعلا على عبادة بل هي أكبر مِنَّةٍ ونعمة أنْ أنزل القرآنَ على محمَّدٍﷺ على حين فترْةٍ من الرُّسل وإنزال الكتب، فهدى الله به قلوبا غُلفاً وأسمع به آذاناً صُمًّا وفتحَ به أعينًا عُميا، أحيا الله به النَّاس بعد موتٍ وأنار به الأرض بعد ظُلمة قال الله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ولما كان المقصد الأساس من إنزال القرآن هو هداية النَّاس جميعا، إذْ القرآن كتاب هداية وإرشاد وإصلاح كما قال تعالى﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾[الإسراء: ٩]، وكانت هداياتُه شاملة لكلِّ مناحي الحياة، كان لزامًا على النَّاس أن يغوصوا في معاني هذا الكتاب ليستخرجوا كنوز هداياته ودُرر توجيهاته ومكنون مقاصده.

ومن نظر في مقاصد القرآن الكريم وموضوعاته نظرةَ تدبُّرٍ لوجد مركز اهتمامه هو الإنسان وبنائه من جميع الجوانب، بل من قلَّب ناظريه في مكنون معانيه لوجد أنَّ القرآن لم يكتف بالاهتمام ببناء الإنسان من تلكم الجوانب فحسب، بل شرع من الأحكام ما يحفظ به ذلك البناء من كلِّ ما شأنه المساس به.

وقد بادر مركز مكة العالمي للهدى القرآني بمكَّة المكرمة إلى عقد مؤتمرٍ فريدٍ من نوعه يُلقي الضَّوء على هدايات القرآن في بناء الإنسان، وإنَّه لموضوعٌ جديرٌ بالاهتمام والبحث، ليستنير النَّاس بهدايات الآيات في جميع أمورهم،

ولذلك جاءت محاوره متنوِّعة وشاملة تخدم موضوع الفكرة وتحقِّق هدفَ المبادرة.

لأجل ذلك جاءت فكرة البحث لتتناول موضوعاً يندرج تحت المحور الثَّالث من محاور المؤتمر، فأردتُ المشاركة في إثراء موضوع المؤتمر ببحث عنونته بـ: **"هداياتُ القرآن الكريم وأثرها في المحافظة على قِيَم التَّماسك المجتمعي، وتحقيق الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرفة"**.

وعليه، فأهمية هذا البحث تكمن في جَعْلِ القرآن الكريم هو الأساس والمرجع والمنطلق للتأصيل لقيم تماسك المجتمع والحفاظ عليها من كلِّ انحراف، فالقرآن ببيان ذلك جدير وبتحقيقه كفيل، فإنَّه معجزة الله الخالدة وحكمه الصَّالح لكلِّ زمان ومكان، فهو كتابُ البشرية ودستورُ الإنسانية ومنهجُ الخليقة، وهو ينبعوعُ السَّعادة ومصدرُ الحضارة، وناموسٌ لحلِّ جميع المشكلات الإنسانية.

ومن خلال عنوان البحث وأهميته يمكن إبراز جملةٍ من الأهداف يسعى البحث إلى تحقيقها من أهمها:

١-إظهار صلاحية آيات القرآن في هداية النَّاس وشمولية ذلك لكل الأزمان والأماكن وعموم الإنسانية.

٢-التذكير بدور القرآن في معالجة آفات المجتمع الإنساني وإيجاد الحلول لمشاكل الإنسانية العويصة.

٣-إبراز كيفية استخراج ما يمس قيم التَّماسك المجتمعي والأمن الفكري من آيات القرآن، وذلك باستنطاقها، وكيف يُستنار بهداياتها لتحقيق ذلك، والتَّصدي للانحراف الذي يُعرض المجتمع للتَّفرُّق.

٤-إزالة كثيرٍ من الفهوم الخاطئة في بابِ الاستدلال بالقرآن وقصر هداياته على بعض الأفراد والأحوال.

وكان محلُّ البحث الجواب على الإشكالية الآتية: هل اهتم القرآن الكريم بموضوع القيم الإنسانية التي تحافظ على تماسك المجتمع وتحقِّقُ له أمنه الفكري؟ وإذا كان الجواب بنعم، فما هي يا ترى النُّصوص القرآنية الدَّالة على ذلك، وهل هي كفيلةٌ بتحقيقها، وكيف يمكن الاستدلال بها وإبراز هداياتها في ذلك. أحسب أنَّ مضمون البحث كفيلٌ بالجواب على الإشكالية وفق الخطَّة المقترحة، وهي في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: مبحث مفاهيمي، وفيه التعريف بأهم مصطلحات البحث.

المبحث الثَّاني: هداياتُ القرآن الكريم وأثرها في المحافظة على قِيَم التَّماسك المجتمعي.

المبحث الثَّالث: هداياتُ القرآن وأثرها في تحقيق الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرفة.

المبحث الأوَّل: مبحث مفاهيمي:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوَّل: التَّعريف بهدايات القرآن الكريم لغة واصْطلاحًا:

هدايات القرآن الكريم مركَّبٌ إضافيٌّ، ولتحديد معناه يتحتَّمُ معرفة مدلولِ كلِّ لفظةٍ على جهةِ الإفراد، ثمَّ على جهة التَّركيب، ولوضوح معنى القرآن فلا نتطرق إليه، فهو كلام اللهﷻ المنزَّل على عبدِه محمَّدٍﷺ.

معنى الهدايات لغة واصطلاحاً:

الهداياتُ لغةً، جمعُ هِداية، والهِدايةُ مُشتقَّة من هَدى وهُدى، تقول: هَدَى يهدي هَدْيًا وهُدَى، وهِدَايةً وهديًا، وهذه الكلمة ترجع إلى أصلين في المعنى؛ **الأوَّل**: الدلالة والإرشاد بلُطْفٍ إلى ما يوصل إلى المطلوب(١)، والهداية ضدُّ الضَّلالة، ومن هذا الأصل الهديَّةُ كذلك، فإنَّ الهدية هي إيصالٌ بلطف ومودة، ومنه الهديُ في النُّسك وهو ما يُهدى إلى الحرم من النَّعم(٢)، **والثَّاني**: الطَّريقة والسِّيرة والهيئة(٣)، فيُقال: الهديُ والهَدْيَةُ، أي الطَّريقةُ والسِّيرةُ، يقال: فلان يهدي هَدْيَ فلان، أي يفعل مثل فِعْلَه ويسيرُ على طريقتِه.

وقد جمع هذين الأصلين بعضُ أهلِ العلم في تعريفِ الهِدَاية لغةً، فقال الجُرجاني: "الهدايةُ: الدِّلالة على ما يُوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوكُ طريقٍ يُوصل إلى المطلوب"(٤).

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة(٦/٢٥٣٣-٢٥٣٤)، وتاج العروس(ص ٢٨٢)، والمفردات في غريب القرآن(ص ٨٣٥).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(٦/٢٥٣٤).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(٦/٢٥٣٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر(٥/٢٥٣).

(٤) التعريفات(ص ٢٥٦)، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف(ص ٣٤٣).

على أنَّ العلماء قد نَصُّوا أنَّ الأصل الثَّاني يرجع إلى الأوَّل،

فكلُّ معاني الهدي والهِدَاية في اللُّغة ترجع إلى الإرشاد والدلالة وعليها تتفرَّع كلُّ المعاني(١).

هذا المعنى اللُّغوي للهدى، وقد وسَّع الشَّرعُ في مدلولِ لفظة الهُدى والهديِ، فجاءت لمعاني عديدة في الشَّرع أكثرها مقرَّرٌ في القرآن(٢).

مفهوم هدايات القرآن الكريم اصطلاحا كمركَّب إضافي: ؛لأنَّ لفظة-هدايات-وإن كانت مُشتقَّة من الهداية والهُدى والهديْ-كما سبق بيانه-وهو استعمالٌ قديم، إلا أنَّ طَرْقَها كموضوعٍ في عِلْمٍ من العلوم واستعمالها كفنٍّ، هو اصطلاحٌ معاصر، ولذلك لم يُكتب فيه إلا القلائل،

وقد بذل المعاصرون في تحديدِ مفهوم هداياتِ القرآن الكريم جهودًا طيّبَةً مباركة، واجتهدوا في إعطاء حدٍّ لهذا المصطلح على قلتها، كما فعل طه عابدين طه حمد، وولاء بنت عبد الرحمن البرادعي، وخالدُ بنُ محمَّد الشَّهراني، وغيرهم(٣).

وباستثمار المعنى اللغوي للكلمة هدي وهدى، وباستغلال ما ذكره هؤلاء الأفاضل، يكمن **إعطاءِ مفهومٍ لهدايات القرآن بالقول إنَّها:**

"هي إرشاداتُ ودِلالاتُ وتوجيهاتُ آياتِ القرآن الكريم بطلفٍ وعنايةٍ ورحمة إلى ما فيه فلاحُ العبدِ وصلاحُهُ وسعادتُهُ في الدَّارين".

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية(١/٧٣)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٥/٣١٢).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن للأصبهاني(ص ٨٣٥-٨٣٨)، والهدايات القرآنية دراسة تأصيلية(١/٢٨-٣٨).

(٣) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية(١/٤٤).

المطلب الثَّاني: معنى قِيَم التَّماسك المجتمعي لغة واصطلاحا.

معنى القيم لغةً واصطلاحاً:

القِيَم بكسر القاف وفتح الياء لغةً جمعُ قِيمة، والقِيمَةُ أصلها اللُّغوي قِوْمَة[١]، تقول: قوَّمتُ السِّلعة تقويماً، أي جعلت لها قيمة، والقِيمَةُ الثَّمنُ، ولهذه الكلمة لغة ثلاثة معاني؛ الأوَّل: الاستقامة، تقول: هذا أمرٌ قيِّم أي مستقيم[٢]، الثَّاني: التقدير وهو إعطاء الشيء قدرا، تقول: قيمة السلعة كذا يعني قدرها وثمن السلعة بالتقويم[٣]، الثالث: الثبات على أمر، تقول: فلان ماله قيمة، أي: ماله ثبات على الأمر[٤].

وأمَّا مفهوم القيِم اصطلاحاً، فيرى كثيرٌ من المختصين صعوبة تحديد مفهومٍ اصطلاحيٍ للقيم، وذلك راجعٌ لاتِّساع دائرة الدَّارسين لهذا المصطلح والمهتمِّين به في العلوم والفنون المختلفة، ولذلك تنوَّعت عباراتُ النَّاس في تعريفها على حسب تخصُّص كلِّ واحدٍ، والذي يهمُّنا في هذا الباب ما له علاقة ببحثنا وهي القيم الأخلاقية التربوية التي جاء بها الإسلام،

فالقيم التي نقصدها تعني مجموعة الفضائل الدينية والاجتماعية والأخلاقيَّة والتَّربوية التي يقوم عليها المجتمع، ولذلك فقد عرَّف المعاصرون القيم الإسلامية بعدد من التَّعريفات، منها أنَّها: "مجموعة المعايير والفضائل التي جاء بها الإسلام، ثمَّ أصبحت محل اعتقاد واعتزاز لدى الإنسان عن اقتناع واختيار، ثمَّ صارت مُوجِّهات لسلوكه، ومرجعًا لأحكامه في كلِّ ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تُنظِّمُ علاقته بالله، وبالكون وبالمجتمع،

---

(١) مقاييس اللغة(٥/٤٣)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٥/٢٠١٧)، وشذا العرف في فن الصرف(ص ١٠٢).
(٢) تهذيب اللغة للأزهري(٩/٢٦٧).
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير(٢/٥٢٠).
(٤) معجم متن اللغة(٤/٦٥٨).

وبالإنسانية جمعاء"[١].

معنى التَّماسك لغة واصطلاحاً:

التَّماسك لغة مصدر من تَمَاسَك، بمعنى ترابط والتصق، فالتَّماسك لغةً هو الترابط والالتصاق حسياً أَو معنوياً [٢]، وأمَّا التَّماسك اصطلاحاً، فقد عرِّف بكونه: عملية ديناميكية تعكس الترابط والالتصاق بين شيئين أو أشياء من جنس واحد حسًّا أو معنى.

معنى المجتمعي لغة واصطلاحاً:

المجتمعي لغةً نسبةٌ إلى المجتمع، والمجتمع لغة من الاجتماع، والاجتماع مصدرُ اجتمعَ، وهو الانضمام، تقول: اجتمع القومُ: انضموا، ضد تفرَّقوا[٣]، وأصلُ الاجتماع من الجَمْع، وهو ضمُّ شيءٍ إلى شيء[٤]، والمجتمع: موضِعُ ومكانُ الاجْتماع والْجَمَاعَة من النَّاس.

وأمَّا المجتمع اصطلاحاً، فوقع فيه اختلافٌ بين العلماء بحسب تخصُّص المتناولين لهذا المصطلح والمهتمِّين به، ولذلك تنوَّعت عباراتُ المختصِّين في تعريفِه على حسب علمٍ وفنٍّ وميولِ كلِّ واحد، والزَّاوية التي ينظر إليها، ومع ذلك فمفهوم المجتمع شيء متقارب لتقارب معنى مقوماته ومكوناته[٥].

ومهما قيل في تعريف المجتمع، فهو حقيقةٌ جوهرية في حياة الإنسان وُجِد لاعتبارات فرضها واقعٌ معين، فمفهوم المجتمع مستمدٌّ في جوهره من الفطرة الإنسانية في وجود أفرادٍ يُقيمون ويعيشون في منطقَة محدَّدة لفترة مستدامة،

---

(١) القيم الأخلاقية لدى طلاب جامعة طنطا، دراسة ميدانية، عبدالرحيم الرفاعي(ص ٣١)

(٢) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين(٨٦٩/٢).

(٣) معجم متن اللغة، أحمد رضا(٥٦٨/١).

(٤) المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين(١٣٤/١)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل، محمد حسن جبل(٣٣٥/١).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر(٣٩٦/١).

ينتج مجموعة العوائد والأعراف، ولذلك فإنَّ مفهوم المجتمع اصطلاحا وإن وقع فيه اختلاف إلا أنَّ جوهره الواقعي واحد، ووجود الاختلاف راجعٌ إلى تمايز الأعراف والعوائد.

وبالنظر إلى خصائص كلِّ مجتمعٍ ومقوماته يمكن أن يقرَّر أنَّ مفهوم المجتمع تطوَّر عبر الزَّمن بحسب خصائص كلِّ وقتٍ ومقوماته وحاجات النَّاس فيه، ولئن كان مفهوم المجتمع القديم منحصرٌ في مجموعة من الأفراد تعيش في رقعة معينة تربطها علاقات بسيطة، فقد تطور مفهوم المجتمع من هذا المفهوم الكلاسيكي التراثي إلى مفهومٍ عصريٍّ يتماشى وروح المعاصرة والظروف الطارئة فيها، ليأخذ مفهوما أوسع وأشمل يتماشى مع روح العصرنة ومقومات الدولة الحديثة، فيأخذ بعين الاعتبار كلَّ الأنساق التي تكوِّن البِنْيَة المجتمعية، بل ويتخطَّى دائرة الأفراد والأُسر والمجتمعات ليشمل مكوِّنات الدولة والنِّظام السياسي.

التَّماسك المجتمعي: هو ترابطُ أجزاءِ المجتمع الواحد وتوحُّدهم واستعداد كلٍّ منهم لمساعدة الآخر(١)، ولا يتحقَّق هذا المفهوم إلا إذا تضمَّن شعور الأفراد بانتمائهم إلى الجماعة والولاء لها والتمسُّك بمعاييرها، ثم الرُقيُّ بالشُّعور والتحدُّث إلى العمل معًا في سبيل تحقيقِ هدفٍ مشتركٍ.

مفهوم قِيَم التَّماسك المجتمعي: يمكن تعريف قِيَم التَّماسك المجتمعي بـ: "مجموعة الأخلاق والفضائل والمعايير التي قرَّرتها الشَّريعة ودعت إليها الفطرة السَّليمة التي تضمن ترابطَ أجزاءِ المجتمع الواحد، للعيش في أمنٍ وحياة سعيدة، ولا يتحقَّق هذا المفهوم إلا إذا تضمَّن شعور الأفراد بانتمائهم إلى الجماعة

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة(٢٠٩٩/٣)، والتماسك الاجتماعي؛ ماهيته أبعاده مقوماته(ص ١٩١).

والولاء لها والتمسُّك بمعاييرها والعمل في سبيل تحقيق أمانها واستقرارها، تحت رعايةِ سلطةٍ ذات مؤسسات وهيئات".

المطلب الثَّالث: مفهوم الأمن الفكري لغة واصطلاحاً:

معنى الأمن لغة واصطلاحاً:

الأمن لغة مصدر للفعل أَمِنَ، تقول: أمن يأمن فهو آمن، والأمن لغة يدور على معنيين متقاربان؛ **الأوَّل**: الأمانة ضدُّ الخيانة، والأمان، وهو الطمأنينة ضدُّ الخوف[١]، **والثَّاني**: التَّصديق ويؤول إلى الطُّمأنينة، يُقال: آمنَ وآمنَ به، وآمنَ له، يُؤمن، إيمانًا، فهو مُؤمِن، وآمن الشَّخصُ: اعتقد وصدَّق[٢].

وأمَّا الأمن اصطلاحاً: "عدمُ توقُّعِ مكروهٍ في الزَّمان الآتي، وأصله طمأنينة النَّفس وزوال الخوف"[٣].

معنى الفكري لغة واصطلاحاً:

الفكري لغة من الفِكْر، و"الفاء الْفَاءُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ تَرَدُّدُ الْقَلْبِ فِي الشَّيْءِ، يُقَالُ تَفَكَّرَ إِذَا رَدَّدَ قَلْبَهُ مُعْتَبِرًا، وَرَجُلٌ فِكِّيرٌ: كَثِيرُ الْفِكْرِ"[٤]، والتَفَكُّرُ: التأملُ، والاسم: الفِكْرُ والفِكْرَةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح[٥]، والفكر إعمال الرَّوية والنَّظر في الشيء[٦]، ومنه أخذ المعنى الاصطلاحي.

فالفكر اصطلاحاً: إعمال العقل في الشَّيء أو للوصول إلى غامضٍ ومجهول انطلاقا من واضحٍ معلوم[٧]، وقال الراغب: "الْفِكْرُ مقلوبٌ عن الفَرْك، لكن

---

(١) المفردات(ص ٩٠)، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة(١/١٢٢).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة(١/١٣٣)، والصحاح(٥/٢٠٧١-٢٠٧٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة(١/١٢٢).

(٣) التعريفات(ص ٣٧)، والتوقيف على مهمات التعاريف(ص ٦٣).

(٤) معجم مقاييس اللغة(٤/٤٤٦).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية(٢/٧٨٣).

(٦) معجم متن اللغة، أحمد رضا(٤/٤٣٩).

(٧) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر(٣/١٧٣٤).

يستعمل الفِكر في المعاني، وهو فركُ الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها"[١].

معنى الأمن الفكري كمركب إضافي: لما كان الأمنُ الفكري متعلِّقٌ بحفظ هوية الأمَّة من الدِّين والعادات والتقاليد، كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بمقصدي حفظ الدين والعقل، فحقيقة الأمن الفكري هو حفظ دين النَّاس والطمأنينة عليه من الانحراف وكذا الحفاظ على عقول النشء من كل دخيل يمس ثوابت الأمة وهويتها،

ولذلك يمكن تعريف الأمن الفكري الخاص بأمتنا العربية الإسلامية بـ: "تحقيقُ الطُّمأنينة على سلامة اعتقادات وأفكار وثوابت الأفراد والمجتمع، بالاعتصام باللهﷻ، والأخذ من المصادر الصَّحيحة، مع التحصُّن من الباطل والدَّخيل، والتَّعامل الرشيد مع الثَّقافات الأخرى، ومعالجة مظاهر الانحراف في الفكر في النَّفس والمجتمع"[٢].

---

[١] المفردات في غريب القرآن(ص ٦٤٣).

[٢]ينظر: الأمن الفكري في ضواء السنة النبوية، عبد الرحمن بن معلا اللويحق(ص ١١٧).

المبحث الثَّاني: هداياتُ القرآن الكريم وأثرها في المحافظة على قِيَم التَّماسك المجتمعي:

يعتبر التَّماسك الاجتماعي من أكبرِ الأهداف التي تسعى المجتمعات والدُّول الحديثة إلى تحقيقه، ولا يكون ذلك إلا في إطارِ القيم الأخلاقية والتَّربوية، وإذا كان الغربُ قد شغلهم تحقيقُ التَّمساك الاجتماعي وعانوا في سبيل ذلك بسببِ غياب القيم الأخلاقية التي ذابت في الْمَدنيةِ المزيَّفة، فإنَّ الإسلام قد هيَّأ كلَّ السُّبل لذلك، والمجتمعات المسلمة مهيأةً، وتربتها خصبة، لتَّحقيق التَّماسك الاجتماعي، وليس دون تحقيقه إلا تكاثف الجهود بين أفراد المجتمع، وبذلك تَعْرِف قدر القيم الأخلاقية التي أرساها دينُنا الحنيف وأرشد إليها القرآن الكريم، فشرعنا يسعى لبناءِ مجتمعٍ مستقِرٍّ، تسود فيه المحبَّة والوئام، والتَّكافل والتعايش، وهذا يتطلب التَّوافق بين الأفراد والجماعات، وتجاوز الاختلافات التَّنوعية، وقد أرسى القرآن الكريم قواعد التَّماسك المجتمعي، وأرشد إلى أسبابِ بنائه، والمحافظة عليه، فتجد آيات القرآن الكريم مرشدةً إلى كلِّ ما من شأنه تحقيق التَّماسك من القيم والأخلاق والفضائل، ومحذِّرةً من كلِّ ما من شأنه المساس بتفكّك روابط المجتمع من الأخلاق والتصرُّفات المذمومة، وليس المقصود بهذا المبحث ذكر أنواع التَّماسك المجتمعي ومقوماته، وإنَّما المقصود بيان مجموعة القيم التي أرشد إليها القرآن التي تؤدي إلى حصول التَّمساك وتقويته والمحافظة عليه، وهو ما سنبيّنه في المطالب الآتية:

المطلب الأوَّل: نشر المحبَّة والاجتماع والائتلاف وترك أسباب التَّباغض والتَّفرق والاختلاف.

الأفراد قِوامُ المجتمعات، ويعتبر الفرد اللَّبنة الأساس التي يقوم عليها المجتمع والأمَّة، وبصلاحه يصلح المجتمع والعكس صحيح، فقوَّة التَّمساك المجتمعي تبدأ من الأفراد، وذلك بإصلاحهم ونشر المحبَّة والألفة بينهم، وترك أسباب التَّفرق

والاختلاف والتباغض، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم وأرشدت إليه آياتُه.

فإذا نظرت إلى الآيات التي عالجت هذا الجانب نظرةَ تدبُّرٍ واسترشاد، لرأيت أمرًا بديعًا ونَسَقًا فريدا، وكيف بدأ القرآن ببناء الأفراد وإصلاحهم بالإرشاد إلى تقريرِ الأخوَّة بين جميع أفراد المؤمنين، فقال سبحانه﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]،

فالمؤمنون جسدٌ واحد وأسرةٌ واحدة، كما قال نبيُّناﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى"(١)، والله يحبُّ من عبادة أن يكونوا إخوانًا متحابين متماسكين، فقال تعالى﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾[الصف: ٤]، فانظر كيف صوَّر القرآن تماسك المؤمنين أثناء لحظة القتال، والآية وإن كان ظاهرُ أسلوبها إخبارٌ عن حالِ المؤمنين الذي يحبه اللهﷻ، فهي أمرٌ لهم لفعل ذلك، وقال سبحانه﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩]، فأخبر أنَّ صحابة النَّبيِّﷺ رحماء فيما بينهم، وهذا فيه أمرٌ وإرشادٌ لمن جاء بعدهم أن يكونوا كذلك، فإذا تربَّى الفردُ على هذه القيمة-قيمة أنَّ كلَّ المؤمنين له إخوة-، ونشأ على عقيدة أنَّ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد وكالبُنيان المرصوص، وقام المجتمع على هذا المبدأ، كان تحققُ التَّمساك الذي هدى إليه القرآن أمرًا حتمياً.

ثمَّ دعا إلى اختيار الأقوال بالغة الحسن والأفعال الفاضلة التي تقِّوي هذه الأُخُوَّة والمحبَّة، فقال تعالى﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾[الإسراء: ٥٣]، والتي هيَ أَحْسَنُ هي المحاورة الحسنى، قال الحسن: يقول: يغفر الله لك، يرحمك الله، فكأن الآية

(١) أخرجه البخاري (رقم: ٦٠١٦)، ومسلم(رقم: ٢٥٨٦)، واللفظ لمسلم.

بمعنى قوله عليه السَّلام، "وكونوا عباد الله إخوانا"[١]، فأمر اللهُ ﷻ المؤمنين فيما بينهم بحسن الأدب، وخفض الجناح، وإلَانة القول، واطِّراح نزغات الشيطان[٢]،

فالشيطان يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم[٣]، ويحرص كلَّ الحرص على النزَّع بين النَّاس، والتَّحريش بينهم، ليُوقعهم في التَّنافر والتباغض الذي يؤدي إلى التَّفكك، فإنَّه العدو اللدود الذي لا يَمَلُّ في إغواء النَّاس[٤].

وأمر بالتَّعاون على كلِّ برٍّ وفضيلة ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة: ٢]، "أي: ليعن بعضكم بعضا على البر، وهو: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين، والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة، وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك"[٥]،

فَفِعْلُ هذا ممَّا يُقوِّي لُحْمَةَ المجتمع وينشر المودَّة والتآلف بينهم.

وأرشد إلى إصلاحِ ذات البين إذا وقع الاختلاف فقال تعالى﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[الأنعام: ١]، وما ذاك إلا مبالغة في الحرص على تماسك المجتمع من التفرُّقِ والاختلاف، "والمراد به في الآية الاتصال، أي: فاتقوا الله- أيها المؤمنون-، وأصلحوا نفس ما بينكم وهي الحال والصِّفة التي بينكم والتي

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي(٣/٣١)، والمحرر الوجيز، لابن عطية(٣/٤٦٤).
(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية(٣/٤٦٤).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي(ص ٤٦٠).
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير(٥/٨٧).
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي(ص ٢١٨).

تربط بعضكم ببعض وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بما يقتضيه كمال الإيمان من الْمُوادَّة والْمُصافاة، وترك الاختلاف والتنازع، والتمسك بفضيلة الإيثار"[1].

كما نجد القرآن قد أرشد إلى تركِ التَّفرُّق والاختلاف وأسبابهما، فقال تعالى﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله في الآية القرآن في قولِ جماعةٍ من أئمَّة التَّفسير[2]،

فالاعتصام بالقرآن الكريم والتَّمسك بمبادئه والاهتداء بهداياته، من أكبرِ أسباب الاجتماع والتَّماسك والائتلاف، وترك هداياته من أكبرِ أسباب التفرُّق، فالآية نصٌّ في النَّهي عن كلِّ تفرُّقٍ، فتشمل تعاطي التَّفرُّق وفعلَ أسبابِه ووسائِله بالمنطوق، ودلَّت بالمفهوم على سدِّ كلِّ أسباب ووسائل التَّفرق والاختلاف، ولذلك أرشد القرآن إلى السَّعي إلى سدَّ أبواب كلِّ تباغضٍ وفتنة، فأرشد إلى عدم التَّنازع ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال: ٤٦]، فاللهﷻ نهى التَّنازع، فيشمل كلَّ تنازعٍ ولو كان يسيرا، لما تدلُّ عليه صيغة النَّكرة من الإطلاق، ودلَّ على ترك كلِّ تباغض وتحاسد، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[الحشر: ١٠].

والغلُّ: الحسدُ والبُغض، ففي هذه الآية حثٌّ على الدُّعاء للصَّحابة وتصفية القلوب من بغض أحد منهم[3]، وفيها حثٌّ لنا على فعل ذلك فيما بيننا، وقال تعالى﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[آل عمران:١٣٠]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ

(١) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي(٦/٢٨).
(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي(١/٣١١).
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي(١٤/٢٤٨).

أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[الأنفال: ٦٣]،

فذكر الله في هاتين الآيتين امتنانه على عبادة بالتَّأليف بين قلوبهم، والتَّأليف بين القلوب يقتضي امتلاءها بكلِّ محبَّة وَوُدٍّ، وصفاءها من كلِّ غلٍّ وحسد ونُفرة وتباغض، والإخبار بالْمِنَّةِ بالتَّأليف بين القلوب هو إرشادٌ لفعله وهداية للسَّعي في تحصيليه وتحذيرٌ من الوقوع في ضدِّه بالتَّباغض والتَّنافر، وفعلُ موجباته، وذلك بالقيام بأي قولٍ أو فعلٍ يوجبه كما قال تعالى ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[الإسراء: ٥٣]، وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[المائدة٩١]،

فالأقوال القبيحة والسيِّئة من موجبات التَّباغض وكذلك الأفعال السيئة، وكما أنَّ القرآن حذَّرنا من اتِّباع نزغاتِ الشَّيطان لأنَّه حريصٌ على التحريش بيننا وإيقاع العداوة والبغضاء اللازمة للاختلاف والتباغض، كذلك حذَّرنا من شياطين الإنس الذين يفعلون ذلك، فقال تعالى﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾[التوبة: ٤٧]، وقوله: "﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: أسرعوا في الدخول بينكم للتَّفريق والإفساد، قال ابنُ عباس: يريد أضعفوا شجاعتكم، يعني بالتَّفريق بينهم، لتفرق الكلمة فيجبنوا عن لقاء العدو، وقال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنَّميمة لإفساد ذات البين"(١).

بل ونهى القرآن عن أسباب ذلك كلِّه، فقالﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[الحجرات: ١١]، والسخرية بالناس هُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِم بالأقوال

(١) التفسير القيم، لابن القيم(ص ٣٠٤)، وينظر: تفسير السعدي(٣٣٩).

أو الأفعال الدالة على ذلك، فإنَّ ذلك حرام، فإنَّ السُّخرية لا تقع إلا من قلبٍ ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متَّحلٌ بكلِّ خلقٍ ذميم(١)، وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾[الهُمَزَة: ١]، فَالْهَمْزُ بِالْفِعْلِ وَاللَّمْزُ بِالْقَوْلِ، كَمَا قَالَ: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۢ بِنَمِيمٖ ١١﴾[الْقَلَم: ١١] أَيْ: يَحْتَقِرُ النَّاسَ وَيَهْمِزُهُمْ طَاعِنًا عَلَيْهِمْ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَهِيَ: اللَّمْزُ بِالْمَقَالِ، فمن أكبر أسباب التَّباغض والتَّنافر السُّخريةُ والاحتقار والطَّعنُ بالأقوال والأفعال.

وهدَّد المولى سبحانه مَنْ يحبُّ انتشار الفواحش والأفعال القبيحة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، مبالغة في ترسيم هذا الأصل وتثبيت هذا المبدأ، فقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[النور: ١٩]،

"فإذا كان هذا الوعيد لمجرَّد محبَّةِ أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله"(٢).

فانظر أخي الكريم كيف أبدع القرآن في بناءِ صرحِ المجتمع، ببناءِ أفرادِه والإرشاد لكلِّ الأخلاق والقيم التي تُقوِّي أواصر الأخوَّة، والتَّحذير من كلِّ ما يمسُّ بتماسك هذا البُنيان من الأقوال والأفعال ووسائلهما.

المطلب الثَّاني: الابتعاد عن إثارة النَّعرات الجاهلية، والقوميات والعصبيات.

من أعظمِ أسبابِ تمزُّق جسدِ الأمَّة وخرق مجتمعها وتفكُّك روابطِ الأواصر بين أفرادها ووقوع التباغض بينهم، إثارةِ النَّعرات القبلية والقوميات الجنسية والعصبيات، في أبناء الأمَّة والبلدِ الواحد. ولذلك سدَّ القرآن الكريم هذا الباب وشدَّد على ولوجه أو الاقتراب من فتحه، فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

(١) تفسير ابن كثير (٧/٣٧٦)، وتفسير السعدي (ص ٨٠١).
(٢) تفسير السعدي (ص ٥٦٣).

إِخۡوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، هذه قاعدة الإسلام الكبرى وأساسه المتين، نبذُ التعصُّب والفروق العِرقية، وذم الطبقية واللونية، فَرَحِمُ الإسلام هي التي تجمع أهله وأفراده، لا فرق بين عربيٍّ على أعجمي ولا لأبيض على أسود، ولا لأبناء قبيلة فلان على قبلية عِلَّان، وإنَّما يتفاوت أبناء المجتمع المسلم بتحقيق التَّقوى والالتزام بالأخلاق والقيم الفاضلة﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات: ١٣]، فأرسى الإسلام هذا الأساس المتين بالدعوة إلى تلك الرَّابطة القوية؛ رابطة الدين، وهي الرَّابطة الحقيقية التي تتلاشى معها كلُّ الرَّوابط العصبية والقبلية والنَّسبيَّة ولو كانت قريبة، قال تعالى:﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾[المجادلة: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[التوبة: ٧١]،

وقال:﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ﴾[الحجرات: ١٠]،

"فهذه الآيات وأَمثالها تدلُّ على أنَّ النِّداء برابطةٍ أخرى غير الإسلام، كالعصبية المعروفة بالقومية: لا يجوز، ولا شكَّ أنَّه ممنوعٌ بإجماعِ المسلمين، ومن أصرح الأدلة في ذلك:

ما رواه البخاري...عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: كنَّا في غزاةٍ فَكَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار!! وقال المهاجري: يا للمهاجرين!! فسمعها الله رسولَه قال: ما هذا"؟ قالوا: كَسَعَ رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النَّبيُّﷺ: "دعوها فإنها منتنة..." الحديث، فقول هذا الأنصاري: يا للأنصاري، وهذا المهاجري: يا للمهاجرين هو النِّداءُ بالقومية العصبية بعينه، وقول النَّبيِّﷺ: "دعوها فإنها

منتنة" يقتضي وجوب ترك النِّداء بها؛ لأنَّ قوله: "دعوها" أمر صريحٌ بتركها، والأمر المطلق يقتضي الوجوب على التَّحقيق... فدلَّ هذا الحديث الصَّحيح على أنَّ النِّداء برابطةِ القومية مخالفٌ لما أمر به النَّبيُّﷺ، وأنَّ فاعلَه يتعاطى الْمُنتن، ولا شكَّ أنَّ الْمُنتنَ خبيثٌ، والله تعالى يقول:

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾الآية، ويقول:﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾"[1].

وحذَّرنا القرآن الكريم من التَّشيع فرقًا وأحزابًا يدعو كلُّ حزبٍ وطائفة إلى نفسها ومبادئها، فإنَّ ذلك حزبيةٌ مقيتة وجاهليةٌ منتنة وعصبيةٌ لغير الحقِّ، وهو أكبر أسباب التَّفكك والتلاشي والاختلاف والتفرُّق،

فقال سبحانه﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ ﴾[الأنعام: ١٥٩]،

"ودلت الآية الكريمة أنَّ الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التَّفرُّق والاختلاف في أهل الدِّين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية"[2].

بل أرشد القرآن إلى ترك كلِّ الوسائل المفضية للعصبية والقومية، فحرَّم السُّخرية على الأساس القَبلي، فقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾[الحجرات: ١١]، والتَّنابز بالألقاب﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾[الحجرات: ١١]،

فيدخل فيه كلُّ تنابز، سواء ما تعلَّق بالأفراد أو القبائل، وسواء كان التَّنابز متعلِّقٌ بلسانِ النَّاس، أو أفعالهم، أو أعرافهم، أو ألوانهم أو هيئاتهم، فضلا عن مستواهم المعيشي أو وضعهم المادي.

---

(1) أضواء البيان(٣/٥٢٤-٥٢٥).

(2) تفسير السعدي(ص ٢٨٢).

المطلب الثَّالث: الحرص على التَّماسك الأسري:

الأسرةُ هي النَّواة الأولى في المجتمع، وإذا كان المجتمع هو مجموعةُ الأفراد والجماعات والهيئات والمؤسَّسات التي تعيش في البَلدِ الواحد وتربطها أعرافٌ وتقاليد مشتركة، فإنَّ الأسرةَ تُعتبر المؤسسة الأولى الصُّغرى في المجتمع، ولذلك فإنَّ صلاحَ المجتمع ولا سيما في مجال القيم والأخلاق إنَّما يبدأ من الأسرة، ففيها تُؤسَّس الأخلاق الحميدة والقيم الفاضلة، وفي حياضها يُبنى التَّمساك وتتقوَّى أواصرُ التَّرابط، وفي جوِّها تُنمَّى مَلَكَة الأُخوة والمودَّة والرَّحمة، وفي مدرستها يؤسس لنبذ التَّفرق والاختلاف والتَّباغض.

ولأجل ذلك حرص الشَّرع الحنيف على التَّماسك الأسري وأولاه أهمية كبرى، وما ذاك إلا لأنَّ الأسرة هي اللَّبنة الأولى لصلاح الفرد وتماسك المجتمع، ولذلك هيأ الشَّرع كل أسباب التَّماسك الأسري،

فحثَّ على كلِّ ما يؤدي إلى ذلك، ابتداء من تكوين الأسرة على أساس متين، قائماً على المودة والرَّحمة والسَّكن﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[الروم: ١١]، وقال تعالى﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الْأَعْرَافِ: ١٨٩]، ويسكن إليها، أي يطمئن ويأنس، وأصله الميول إلى الشخص "لِتَسْكُنُوا إِلَيْها: أي لتميلوا إليها، يقال: سكن إليه إذا مال، فإنَّ المجانسة من دواعي النِّظام والتَّعارف، كما أن المخالفة من أسباب التفرُّق والتَّنافر"[(١)]،

فأخبر القرآن أنَّ اللهﷻ خلق للناس أزواجاً من جنسهم ليتحقق الأنس والاطمئنان والسَّكينة والاستقرار، وهذه نظرة الإسلام الحياة[(٢)].

---

(١) روح المعاني، للألوسي (٣١/١١).

(٢) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي (٤٥٢/٥).

وأرشد إلى اختيار الأزواج على أساسِ الخلق والدين والكفاءة بين الزوجين ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ﴾[البقرة: ٢٢١] .

فهذه الآية من الآيات التي أرشدت إلى بناء المجتمع وتماسكه من الدَّاخل، فأمرت المسلمَ أن يتزوَّج بمن تُوافقه في الدِّين والفكر والتوجُّه، لأنَّ ذلك أدعى لتحقيق المقصد من الزَّواج وهو الاطمئنان والسُّكون، وأبعد عن التَّنافر الذي يسببه الاختلاف الديني والفكري، كما أنَّ له الأثر البالغ فيما بعد في تربية الأطفال والحفاظ على استقرارهم وتوافقهم(١).

وحذَّر الإسلام من كلِّ ما من شأنه تهديم الأسرة، فسدَّ كلَّ وسائل التَّفكيك الأسري، فأرشد القرآن إلى دوام الألفة والمحبَّة بين الزَّوجين ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[النساء: ١٩]،

والمعاشرة بالمعروف هو تعامل الزَّوجين بأسلوب لائقٍ متوافق مع تعاليم الشرع وأحكامه، ومحترمٍ لأعراف المجتمع وتقاليده، ومنسجم مع شعور الزَّوجين، مع الاحترام المتبادل بينما، فيشمل المعاشرة بالأقوال والأفعال(٢).

كما أرشد القرآن إلى المحافظة على الرَّابطة الزَّوجية إلى أقصى حدٍّ حتى بعد الاختلاف بين الزَّوجين ونشوز أحدهما على الآخر، فقال تعالى﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾[النساء: ٣٤]،

فأرشد إلى وَعْظِ الزَّوجة الخارجة عن طاعة الزوج وتأديبها لكي ترجع وتؤوب إلى حضن الأسرة وطاعة الزوج بالمعروف، وما ذاك إلا لأنَّ تفكُّك الأسرة هو

(١) ينظر: تفسير ابن كثير(٥٨٤/١)، والتفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي(٤٨٩/١).
(٢) تفسير السعدي(ص ١٧٢).

ضياعٌ للأولاد الذي يعود على المجتمع بكلِّ سلبية، الأمر الذي يؤثر على تماسك المجتمع، بل هو من أكبر أسباب تفكُّكه،

وكما ذكَر القرآنُ نشوز المرأة وطريقة التَّعامل معها ذكر في موضع آخر أنَّ نشوز الزوج، فقال سبحانه﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[النساء: ١٢٨]، ونشوز الرَّجل هو ارتفاعه عن الزَّوجة وترفعه عنها بعدم احترامها وتقييمها وترك مضاجعتها(١)،

فلا ينبغي للزوج إذ أعطاه الشَّارع القوامة والعصمة أن يستغلها في ظلم الزَّوجة وترفعه عنها وترك معاشرتها بالمعروف فإنَّ ذلك حرام، ولما كانت القوامة للرجل والعصمة بيده أرشد القرآن الكريم عند خوف المرأة من نشوز الزَّوج إلى الصُّلح الدَّاخلي بين الزوجين مبالغة في الحفاظ على الأسرة من التَّفكك، حتى بالتَّنازل عن بعض الحقوق، مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ كُسْوَةٍ، أَوْ مَبِيتٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وللزوج أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهَا(٢)،

فإن لم يؤت الصُّلح الداخلي أكله وخيف أن يصل الأمر إلى الشِّقاق والطَّلاق أرشد القرآن إلى الصُّلح الخارجي، مبالغةً في الحفاظ على الأسرة من كلِّ تفكُّك لما ينتج عن ذلك من مفاسد كبيرة على الأبناء والمجتمع، فشرع التَّحكيم بين الزَّوجين إن خيف الشِّقاق بينهما أو وقع، فقال تعالى﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[النساء: ٣٥]،

فيسعى الحكمان إلى معرفة ما بين الزوجين من أسباب الشِّقاق، فينظران ما ينقم كلٌّ منهما على صاحبه، ثم يُلزم كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية(٢/١١٩).

(٢) تفسير ابن كثير(٢/٤٢٦)، ونحوه في تفسير السعدي(ص ٢٠٦).

أحدهما، قنَّعا الآخر بالرِّضا بما تيسر من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه[1].

المطلب الرَّابع: الالتفاف حول ولاة الأمر وعدم التَّأليب عليهم، والرُّجوع إلى العلماء الكبار النَّاصحين وخصوصاً في النَّوازل الكبار التي يخفى حكمها ومآلاتها على الصِّغار.

قد تقرَّر في الفطرة أنَّ الأفراد والجماعات لا بدَّ لهم من رأسٍ يسُوسوهم، فقد فطر اللهﷻ النَّاس على الأخلاق الفاضلة، كالرَّحمة والرَّأفة وحبِّ الخير للنَّاس وعدم إيذائهم، وفي الوقت نفسِه جبلهم على حبِّ النَّفس والاعتداد بالرَّأي والاعتزاز بالموقف، وهذا مظنَّة للانحراف على جادة النَّاس والمجتمع والتمرُّد على أعرافهم وتقاليدهم، مما قد يؤدي إلى فتنةٍ وشرٍّ وبلبلة في المجتمع لا يعلم مداها إلا اللهﷻ، ولما كان الإسلام دين الفطرة السَّوية،

فقد أرشد إلى تلك القيم الفاضلة التي من شأنها أن تُلجم المرء عن كلِّ ما قد يؤدي إلى خلل أو يتسبَّب في بلاء وشر، لكن اقتضت حكمةُ العزيز الحكيم أنَّ كثيرًا من النَّاس يطغى عليه حبُّ الذات ويغلب عليه شرُّ النَّفس، فلا تزجره فطرةُ الأخلاق الفاضلة التي رُكِّبَ عليها بسبب ضعف وازعها، لأجل ذلك قرَّر الإسلام هذا الأصل-تنصيب ولي أمر على النَّاس والأمر بالالتفاف عليه- وأولاه أهمية كبرى، وما ذاك إلا أنَّه من أكبرِ أسبابِ تماسك المجتمع واستقراره، وهذا من محاسن هذا الدِّين.

يقول المولى سبحانه﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم الأمراء والسَّلاطين في قولِ جماعةٍ من

[1] تفسير السَّعدي(ص ١٧٧).

السَّلف، وذهب آخرون أنَّهم الأمراء والعلماء[1]، ومن تدبَّر هذه الآية وجد تحتها أسرارًا لطيفة وحِكَمًا جليلة وهدايات بديعة؛ فهي على وجازتها قد شملت أصولَ مصالحِ العباد الدينية والدنيوية، فإنَّ طاعة الله ورسوله تضمَّنت كلَّ مصلحة دينية ودنيوية، ولا يستقيم ذلك إلا بسلطانٍ يسوس النَّاس ويرعى مصالحهم، فأرشدت الآية الكريمة إلى طاعةِ الله ورسولهﷺ وطاعة ولاة الأمور، كما أشارت أنَّ طاعة ولاة الأمور مقيدة بطاعة اللهﷻ ورسوله، فإذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما بيَّنت ذلك السُّنَّة، فقالﷺ: "لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[2].

يقول الطيبي: "أعَاد الْفِعْل فِي قَوْله سبحانه﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ إِشَارَةً إِلَى اسْتِقْلَالِ الرَّسُولِ بِالطَّاعَةِ، وَلَمْ يُعِدْهُ فِي أُولِي الْأَمْرِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ لَا تَجِبُ طَاعَتُهُ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِك بقوله: سبحانه﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: فَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِالْحَقِّ فَلَا تُطِيعُوهُمْ وَرُدُّوا مَا تَخَالَفْتُمْ فِيهِ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"[3].

ومن المعلوم أنَّ المباح ليس معصيةً للهﷻ ولا لرسولهﷺ، بل هو من الأحكام المعفو عنها، وهي داخلةٌ تحت المشروع، فإذا كان الأمر كذلك فانظر كيف دخلت جميع التَّنظيمات والقوانين التي لا تخالف الشَّرع تحت معنى هذه الآية ودلالتها، فالآية أرشدت إلى طاعة ولاة الأمور في غير معصية اللهﷻ ومعصية رسولهﷺ، وهذا يدلُّ على أنَّه يجب طاعته في كلِّ ما ليس بمعصية، سواء ما تعلق بالأحكام الشَّرعية، أو الأنظمة المتعلقة بشؤون البلاء، فكلُّ القوانين التي سنَّها وليُّ الأمر والتي ليس فيها معصية، كقوانين المرور والطرقات المنظمة للسير، وقوانين الداخلية المنظمة لأحوال النَّاس، يجب طاعتهم فيها

---

(1) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي(ص ٨٥).
(2) أخرجه البخاري(رقم: ٧٢٥٣)، ومسلم(رقم: ١٨٤٠).
(3) فتح الباري(١٣/١١١-١١٢).

والتعاون معهم في تنفيذها وعدم التَّأليب عليهم بسببها، لدخولها تحت الأصل العام الذي قررتها الآية سبحانه﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، فليتق اللهﷻ أقوامٌ شنَّعوا على وُلاةِ الأمور في ذلك، وألَّبوا عليهم، بل ودَعوْا إلى نزع يدِ الطَّاعة، وشوَّشوا على المسلمين، وليعلموا أنَّهم بذلك مخالفون للشَّرع، منابذون لمن أعطاه اللهﷻ الحقَّ، وإن زعموا أنَّهم ناصحون متمسكِّون بالشَّرع.

وكما أرشد القرآن الكريم إلى طاعةِ ولاة الأمر في غيرِ معصية اللهﷻ ومعصية رسولهﷺ حفاظا على تماسك الأمُّة والمجتمع، أكَّد على أنَّ ولاة الأمور من الأمراء والعُلماء لهم الحقُّ في الفصل في المسائل الكبار خصوصا النَّوازل والقرارات المصيرية مع عدم إهمام المشاورة كما قال تعالى﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣]، فالآية أرشدت إلى أنْ يُوكل أمر النَّوازل العظام إلى ولاة الأمر ليفصلوا فيه مع العلماء الرَّاسخين، طلباً للاجتماع ودَرْءًا للتفرُّق والاختلاف(١).

وقد أعطى الشَّارع الحقَّ لوليِّ الأمر في اتخاذ كلِّ رادعٍ-بما يراه مناسباً-لمن تعدَّى على حقوق الرَّعية واستقرار الأمَّة وسعى في إفساد عبادات النَّاس ومعاملاتهم وأحوالهم، وعرضَّ الأمَّة للفتن والمجتمع للتَّفكُّك، فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾[المائدة: ٣٣]،

وهذه الآية نصٌّ في وجوب قتل الصَّائل المتعدّي، وأنَّ من يقيم عليهم ذلك هم ولاة الأمور من السَّلاطين، والجمهور على أنَّ الْمُحَارِبِينَ الَّذِينَ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا الْحَدَّ، هُمُ ا ِينَ يَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ وَيَحْمِلُونَ السِّلَاحَ الذين يخيفون النَّاس في

(١) ينظر: الأحكام السلطانية (ص ٨٥-٨٦).

أنفسهم وأموالهم[1]، والْإِفْسَادُ فِي الْأَرْضِ يُطْلَقُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الشَّرِّ، حَتَّى قَالَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ إِنَّ قَرْضَ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ[2]، وَعُقُوبَةُ هؤلاء الْمُحَارِبِينَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾،

فَذَهَب جماعةٌ من السَّلف إلى أنَّ الإمامَ مخيَّرٌ في أمرِ الْمُحَارِبِينَ، بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْقَطْعِ وَالصَّلْبِ والنَّفْيِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْآيَةِ...وذهب آخرون إلى أنَّ هذهِ العُقُوبَاتِ على تَرْتِيبِ الْجَرَائِمِ لا على التَّخْيِيرِ"[3].

قلت: إذا كان المفسد بقطعِ الطَّريق وتخويفِ النَّاس ممَّن يستحقُّ هذا الجزاء ولوليِّ الأمر أن ينفده على ما تقتضيه المصلحة، فكيف بمن أفسد دين النَّاس وأخلاقهم وتسبَّب في إثارة الفوضى في المجتمع وأدخل الأمَّة في شرٍّ وبلاء، فلا شك أنَّ دلالة الآية على جزائه من باب أولى.

فمن أكبر مقاصد القرآن الكريم هداية النَّاس إلى الالتفاف حول ولاة الأمر ؛لأنَّه من أكبر أسباب تماسك المجتمع فيما يتعلق بشؤون دينهم ودنياهم، ولذلك كانت السِّياسة الشَّرعية قائمة على تدبير شؤون الدولة بما فيه صلاح الأمَّة ودرء الفساد عنها في ظِلِّ أصولِ الشَّريعة.

---

(١) ينظر: تفسير البغوي(٣/٤٨)، والمحرر الوجيز(٢/٢٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير(٣/٩٤).

(٣) ينظر: تفسير البغوي(٣/٤٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٦/١٥١-١٥٢)، وتفسير ابن كثير(٣/١٠٠).

المبحث الثَّالث: هداياتُ القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرف:

لما كان الأمنُ الفكريُّ متعلِّقٌ بحفظِ هوية الأمَّة وثوابتها من الدِّين والعادات والتَّقاليد، وكان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمقصديْ حفظ الدين والعقل، كان أيُّ انحرافٍ فكريٍّ يُمثِّلُ خطرًا على الأمن وتهديدا لاستقرار الأمَّة وتماسكها، فحفظُ الأمنِ الفكريِّ هو حفظٌ لأمن كلِّ بلد، ولذلك فالسَّعيُ في تحقيق حفظ دين النَّاس وعاداتهم وأعرافهم والطُّمأنينة عليه من الانحراف وكذا الحفاظ على عقول النَّشء من كلِّ دخيلٍ يمسُّ ثوابت الأمَّة وهويتها، من المقاصد المنيفة والغايات الشَّريفة، لأجل ذلك كان واجبًا على الأمَّة أفرادٍ ومجتمعات وسلاطين بذل الجهد إلى تحقيقِ سلامة اعتقادات وأفكار وثوابت الأفراد والمجتمع،

وذلك بنشر الوعي الفكري وتهيئة وتسهيل أسبابِه، وصيانة المجتمع من الغزو الفكري والأفكار الهدَّامة، ومعالجة مظاهر الانحراف الفكري وتجفيف منابعه، والتَّعامل الرَّشيد مع الثَّقافات الأخرى. وقد عالج القرآن الكريم هذه القضية المهمَّة، وأصَّل لهذا الأصل العظيم، فأشار اللهﷻ إلى الامتنان على عبادة بالأمن، تنبيها لهم على أهميَّته وإرشادًا لهم للسَّعيِّ في تحقيقه، **وسيتبيَّن ذلك في المطالب الآتية:**

المطلب الأوَّل: صيانةُ المجتمع من الأفكار الهدَّامة كفكر بعض الفرق المنحرفة مثل الخوارج.

الفرع الأول: نشر الوعي الفكري وتيسير أسبابه:

يقال قديماً: الوقاية خيرٌ من العلاج، فأكبرُ صمَّام أمانٍ لتحقيق الأمن الفكري هو نشر الوعي فيه، وذلك بترسيخ العقيدة السَّليمة، والأخلاق الفاضلة، والأعراف الحسنة، في النَّشء، ونشرها في المجتمع بمؤسساته، كالأسرة

والمسجد، والمدرسة، والجامعة.

فأساس الأمن الذي به يسعد المجتمع ويستقر هو تحقيق العقيدة السَّليمة والتَّوحيد الخالص للهﷻ والإيمان الصَّادق به سبحانه، والابتعاد عن الشِّرك ووسائله، والمعاصي وأسبابها، وهذا هو حقيقة الهداية التي أرشد إليها القرآن الكريم، قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾[الأنعام:٨٢]، قال ابن كثير: "أَيْ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ، لَهُ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُهْتَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"(١)، وقال تعالى﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾[النور: ٥٥]، "أي: وعدهم الله تعالى بالاستخلاف في الأرض، وبتمكين دينهم، وبأنْ يجعل لهم بدلًا من الخوف الذي كانوا يعيشون فيه، أمنا واطمئنانا، وراحة في البال، وهدوءا في الحال"(٢).

ثم يُدعَّم ذلك ويُقوَّى بالأخلاق الفاضلة والقيم النَّبيلة في إطارِ أعرافِ المجتمع التي لا تخالف شرعًا ولا تُخلُّ بأمنٍ ولا تخرم مروءةً،

وقد تقدَّم في المطلب الأوَّل من المبحث السَّابق ذكر هدايات القرآن في ترسيخ القيم الجليلة وإرشاده للأخلاق الفاضلة، ومن الآيات الجامعة في تقرير هذا الأصل-ممَّا لم يذكر هناك- قوله تعالى﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾[الأعراف: ١٩٩]، قال السَّعدي: "هذه الآيةُ جامعةٌ لحُسْنِ الخُلقِ مع النَّاس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يُعامَلَ به النَّاس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق،

(١) تفسير القرآن العظيم(٣/٢٩٤).

(٢) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي(١٠/١٤٧).

فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كلِّ أحدٍ ما قابله به، من قولٍ وفعلٍ جميلٍ أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغضُّ طرْفَه عن نقصهم، ولا يتكبَّر على الصغير لصغره، ولا ناقصِ العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يُعامل الجميعَ باللُّطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم، ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي: بكلِّ قولٍ حسَنٍ وفِعلٍ جميل، وخلقٍ كاملٍ للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى النَّاس منك، إمَّا تعليم علم، أو حثٌّ على خير، من صلة رحم، أو بِرٍّ والدين، أو إصلاحٍ بين النَّاس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بِرٍّ وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بدَّ من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه"[1].

الفرع الثَّاني: التَّصدِّي للأفكار الهدَّامة والمناهج المنحرفة:

دينُ الإسلام دينُ الوسطية والاعتدال، يأمر بالقصد والاعتدال في العبادات والمعاملات وعدم الخروج عن جادة الصَّواب وسواء السَّبيل في ذلك، بالغلوِّ أو التَّقصير، وقد أصَّل القرآن الكريم لهذا الأصل ودعا إليه وأرشد إلى السير عليه وعدم الخروج عليه، فإنَّ الخروج إلى الغلوِّ أو التَّقصير خروجٌ إلى طرفيْ نقيض وهو مذموم، وخيرُ الأمور أوسطها، فقال سبحانه﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة: ١٤٣]ووسطاً بمعنى عدولاً [2]، والوسط كذلك الخِيار والأعلى من الشيء، كما تقول: وسط القوم، وواسطة القلادة أنفس حجر فيها[3]،

(١) تفسير السعدي(ص ٣١٣).

(٢) ينظر: تفسير الطبري(١٤٢/٣-١٤٥)، وابن كثير(٤٥٥/١)، والمحرر الوجيز(٢١٩/١).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز(٢١٩/١).

فوسطًا إذًا بمعنى عدولا خيارا[1]، قال ابنُ جرير: "وأرى أنَّ الله تعالى ذِكْرُه إنَّما وصفهم بأنَّهم "وسَط"، لتوسُّطهم في الدِّين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النَّصارى الذين غَلَوْا بالتَّرهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه-ولا هُم أهلُ تقصيرٍ فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتَّلوا أنبياءَهم، وكذَبوا على ربِّهم، وكفروا به؛ ولكنَّهم أهلُ توسُّطٍ واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها"[2]،

فجعل اللهﷻ هذه الأمَّة وسطًا في كلِّ أمور الدِّين، في العقيدة والأحكام والمعاملات والأخلاق، بل والمباحات، فأباح الله لهم الطيِّبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرَّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمَّة من الدِّين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها[3].

ولأجل ذلك أرشد القرآن إلى الالتزام بهذه الوسطية في كلِّ الأمور والسير على الاعتدال في جميع الأحوال والتَّصدِّي للأفكار الهدَّامة والأفكار المنحرفة المخالفة لوسطية الإسلام، فنهى الشَّرع عن الغلو والتَّطرف لأنَّه لا يأت بخيرٍ بل يأتي بكلِّ شرٍّ وبلاء، فقال سبحانه﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[النساء: ١٧١]،

وقال﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾[المائدة: ٧٧]،

---

(1) التفسير القيم، لابن القيم(ص ٢٠٣).
(2) تفسير الطبري(١٤٢/٣).
(3) ينظر: تفسير السعدي(ص ٧٠).

قال ابن كثير على الآية الأولى: "يَنْهَى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّصَارَى، فَإِنَّهُمْ تَجَاوَزُوا حَدَّ التَّصْدِيقِ بِعِيسَى، حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، فَنَقَلُوهُ مِنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ إِلَى أَنِ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ كَمَا يَعْبُدُونَهُ، بَلْ قَدْ غَلَوْا فِي أَتْبَاعِهِ وَأَشْيَاعِهِ، مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِ، فادَّعوْا فِيهِمُ الْعِصْمَةَ وَاتَّبَعُوهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ، سَوَاءٌ كَانَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا أَوْ ضَلَالًا أَوْ رَشَادًا، أَوْ صَحِيحًا أَوْ كَذِبًا"(١)، وقال عن قوله ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: "أَيْ: وَخَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِقَامَةِ وَالِاعْتِدَالِ، إِلَى طَرِيقِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ"(٢)، وقد حذَّر النَّبيُّﷺ أن يسلك المسلمون مسلك الغلو فيه وفيه الصالحين، فقالﷺ: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"(٣).

وقال تعالى آمرا باتّباع الصِّراط المستقيم ومحذِّرا من كلِّ السُّبل التي تخالفه﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام: ١٥٣]، والسُّبل في هذه الآية شاملةٌ لكلِّ انحراف عن الصِّراط المستقيم الذي يمثل وسطية الإسلام، من الشِّركيات والبدع والمحدثات والشُّبهات لدلالة الجمع في لفظ السُّبل، "﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾، يعنى الأديان الباطلة، والبدع والضَّلالات الفاسدة،﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾أي: فتفرقكم عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام الذي ارتضاه لكم...وقد أفرد سبحانه الصراط المستقيم وهو سبيل الله، وجمع السبل المخالفة له لأن الحق واحد والباطل ما خالفه وهو كثير فيشمل الأديان الباطلة، والبدع الفاسدة، والشبهات الزائفة، والفرق الضَّالة وغيرها"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير(٢/٤٧٧).
(٢) تفسير ابن كثير(٣/١٥٩).
(٣) أخرجه البخاري(رقم: ٣٤٤٥).
(٤) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي(٥/٢٢١-٢٢٢).

المطلب الثَّاني: معالجة مظاهر الانحراف في الفكر وتجفيف منابع الفكر المنحرف:

أرشد القرآن الكريم للإعراض عن أهلِ الباطل وأفكارهم ونهى عن مجالستهم والإصغاء إليهم، لئلا يتأثَّر المستقيمُ على الدِّين والأخلاقِ بأفكارهم، وتدخل شبهاتُ الباطلِ قلوبَ أهلِ الحقِّ، فقال تعالى﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[الأنعام: ٦٨]،

قال ابنُ باديس: "فتعمُّ الآية كلَّ ظالمٍ، فلا تجوز لأحدٍ مجالستُهم مع ترك النَّكير عليهم، ولا يكفي أن ينكر ويجلس؛ لأنَّه يكون ببقائه معهم قد أظهر ما يدلُّ على الرِّضا بفعلهم، ونقضٍ بالفعل إنكاره عليهم بالقول"(١)،

وقال السَّعدي: "المراد بالخوض في آيات الله: التكلُّم بما يخالفُ الحقَّ، من تحسين المقالات الباطلة، والدَّعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحقِّ، والقدح فيه وفي أهله، فأمر اللهُ رسولَه أصلا وأمَّتَه تبعًا، إذا رأوا من يخوض بآيات الله بشيءٍ ممَّا ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك"(٢).

فالقرآن الكريم حرص كلَّ الحرص على معالجة مظاهر الانحراف، وكذا تجفيف منابع الفكر المنحرف، وقطع مادة الشَّر، فقال تعالى﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[النجم: ٢٩]، أَيْ: أعرِضْ عَنِ الَّذِي أعرَضَ عَنِ الْحَقِّ وَاهْجُرْهُ(٣)،وقال سبحانه﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]

---

(١) تفسير ابن باديس=مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لعبد الحميد بن باديس(ص ٢٣١)

(٢) تفسير السعدي(ص ٢٦٠).

(٣) تفسير ابن كثير(٤٥٩/٧).

فالآية في إرشادٌ إلى عدم مخالطة أهل الباطل، وفي الوقت نفسه فيها تهديدٌ لمن أبى إلا الجلوس مع أهل الباطل ومخالطتهم وسماع كلامهم أن يكون مثلهم وذلك بسبب ميل قلوبهم لأقوالهم والاقتناع بأفكارهم حتى تمكنت في قلوبهم فأشربوها، قال ابن كثير: "أَيْ: إِذَا ارْتَكَبْتُم النَّهْيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَيْكُمْ، وَرَضِيتُمْ بِالْجُلُوسِ مَعَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُكْفَرُ فِيهِ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيُسْتَهْزَأُ وَيُنْتَقَصُ بِهَا، وَأَقْرَرْتُمُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ شَارَكْتُمُوهُمْ فِي الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [أَيْ] فِي الْمَأْثَمِ"(١).

كما ذكَّر القرآن الكريم محذِّرا أنَّ كفران النِّعم التي أنعم الله بها على عباده سببٌ من أسبابِ حلول العذاب والفتن، قال تعالى﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[النَّحْل: ١١٢]، وقوله: تعالى﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ أنعم جمع نعمة في قول جماعة(٢) وهو عامٌّ يدخل فيه جميعُ النِّعم(٣)، فطاعة اللهﷻ وتوحيده وإقامة شرعه من النِّعم بل هي أجلُّ النِّعم، والأمن نعمةٌ وهو من أجلِّ النِّعم، وتوفُّرِ المأكل والمشرب واللباس ورغد العيش من النِّعم، ووجود الأخلاق الفاضلة في المجتمع من النِّعم، وتماسك الأسر والمجتمعات من النِّعم، والتَّوافق بين الحكام والمحكومين من النِّعم، فالكفر بذلك بعدم شكرها، والتفريط في المحافظة عليها، والتصدي لكل ما يعرضها للزوال، ومعالجة الانحراف في التعامل معها، كل

---

(١) تفسير ابن كثير(٢/٤٣٥).

(٢) الأنعم جمع، وفي مفرده قولان؛ أحدهما: نُعْمٌ بمعنى النعيم، قاله أبو عبيدة وابن قتيبة وقطرب وغيرهم، والثاني: نِعْمة، قاله الزجاج وغيره، وينظر: زاد المسير(٢/٥٨٩-٥٩٠)، وروح المعاني(٧/٤٧٧).

(٣) روح المعاني(٧/٤٧٧).

ذلك من أسباب زوالهما[1].

المطلب الثَّالث: عدم الانجرار وراء الدَّعوات الْمُغرضة التي تقلب الحقائق والشَّائعات التي تبثُّ البلابل في المجتمع وخصوصاً الإعلامية منها.

أرشد القرآن الكريم إلى التَّثبت من الأخبار المنقولة من الفُسَّاق وعدم الانجرار وراءها حتى يُتَثبَّت منها ويُتَؤَكَّد من صحتها، لأنَّ ذلك من أسباب انتشار الفتن بين أفراد المجتمع وإثارة القلائل فيه، فقال تعالى﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾[الحجرات: ٦]، فإذا كان هذا في أخبار الفسقة، فكيف بأخبار الكذَّابين الذين بان كذبُهم واشتهر وتقصدَّوا إثارة الفتن ونشر الفوضى، فلا شك أنَّ التعامل معها يكون بالرَّدِّ والتَّنفير منها،

فالآية دلَّت بالمنطوق على التثبُّت من خبر الفاسق، ودلَّت بالمفهوم أنَّ خبر الثِّقة يقبل وأنَّ خبر الكذَّاب يُرد[2].

وكما أرشد القرآن إلى التثبُّت في الأخبار حذَّر من الانجرار وراء الدَّعوات المغرضة والشَّائعات التي تبثُّ البلابل وتُثير الفتن، فقال سبحانه﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[النساء: ٨٣]، والمراد بالأمر هنا: الخبر الذي يكون له أثرٌ إذا أُشيع وأُذيع، وأَذاعُوا بِه نشروه وأشاعوه وأفشوه وأعلنوه، والمعنى: أن هؤلاء الذين في قلوبهم مرض إذا سمعوا شيئا من الأخبار التي تتعلق بأمن

---

(1) ينظر: تفسير ابن باديس=مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، لعبد الحميد بن باديس(ص ١٢٦).

(2) ينظر: تفسير السعدي(ص ٧٩٩).

المسلمين أو خوفهم أذاعوها وأظهروها قبل أن يقفوا على حقيقتها[١]، قال ابن كثير: "وَقَوْلُهُ: تعالى ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إِنْكَارٌ على من يبادرُ إلى الأُمُورِ قَبْلَ تَحَقُّقِهَا، فَيُخْبِرُ بِهَا وَيُفْشِيهَا وَيَنْشُرُهَا، وَقَدْ لَا يَكُونُ لَهَا صِحَّةٌ"[٢].

كما حذَّر القرآنُ الكريم من السَّماع للمغرضين الذين يُسارعون في إثارة الفتن والبلابل، ويسعون لنشر النميمة قصد إفساد المجتمع، وأرشدنا إلى أخذ الحيطة والحذر اتجاههم، فقال تعالى ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة: ٤٧]، وقوله: "﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: أسرعوا في الدخول بينكم للتَّفريق والإفساد، قال ابنُ عباس: يريد أضعفوا شجاعتكم، يعني بالتَّفريق بينهم، لتفرق الكلمة فيجبنوا عن لقاء العدو،

وقال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنَّميمة لإفساد ذات البين"[٣]، قال السعدي: "﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾ أي: ولسعوا في الفتنة والشرِّ بينكم وفرَّقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم"[٤]، وقوله ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ إخبارٌ بأنَّ هناك من ينخدع بمعسولِ قولهم ومسحورِ كلامهم، فإنَّهم يأتون في ثوبِ النَّاصح الحريص على مصلحتكم، وهم في الحقيقة ألدُّ الأعداء وأشدُّ الأدعياء، وفي هذا الإخبار تحذيرٌ لنا وتنبيهٌ من الاغترار بفعلهم[٥].

---

(١) التفسير الوسيط، لمحمد سيد طنطاوي(٣/٢٣٥).
(٢) تفسير ابن كثير(٢/٣٦٥).
(٣) التفسير القيم، لابن القيم(ص ٣٠٤).
(٤) تفسير السعدي(٣٣٩).
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير(٤/١٦٠).

وقال سبحانه﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥﴾[القلم: ٩-١٥]، وهذه الآية مثل التي سبقتها، فيها التَّحذير من طاعةِ الكَذَبَة والْمشَّائين بالنَّميمة والاستماع إليهم ولو أظهروا لكم النُّصح بكثرة القسم والحلف على إخبارهم، فإنَّ ذلك دليلٌ على كذبهم في الغالب، وفي هذا إرشادٌ إلى أحذ الحيطة من مصدر المعلومات ومبدأ الأخبار،

وهذه الآيات-وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره، فإنَّها عامةٌ في كلِّ من اتَّصف بهذا الوصف؛ لأنَّ القرآنَ نزل لهداية الخلق كلِّهم، ويدخل فيه أوَّلُ الأمَّةِ وآخرُهم، وربَّما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة[1].

[1] تفسير السعدي(ص ٨٧٩).

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

في ختام هذا المقال يمكن إبراز عدَّة نتائج :

١-أنَّ هدايات القرآن الكريم علمٌ جليل مبنيٌّ على تفسير وتدبُّر القرآن الكريم.

٢-من هدايات القرآن الكريم في المحافظة على التَّماسك المجتمعي نشر المحبَّة والدعوة إلى الاجتماع ونبذ التفرق وترك أسباب التَّباغض والاختلاف

٣-إثارة النَّعرات والعصبيات من أكبرِ أسباب تفكك المجتمع، وكيف أرشد القرآن لمعالجتها.

٤-يعتبر التَّماسك الأسري من أقوى وسائل تحقيق تماسك المجتمع، وترسيخ آيات القرآن لهذا الأصل.

٥-من أهمِّ أسباب تماسك المجتمع الالتفاف حول ولاة الأمر، وإرشاد القرآن لهذه القضيَّة المهمَّة.

٦-من مقاصد القرآن الكبرى الدَّعوة إلى الأمن الفكري والتَّصدي للأفكار المنحرفة، وتجفيف منابع الفكر المنحرف.

التوصيات:

١. مواصلة عقد مؤتمرات وملتقيات حول هدايات القرآن في كل المجالات.

٢. ترجمة مداخلات المؤتمر إلى مختلف لغات العالم ليتسنى الاستفادة منها بأوسع نطاق.

فهرس المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار عطاءات العلم-الرياض، ودار ابن حزم-بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٤١ هـ-٢٠١٩م.

٢. الأحكام السلطانية للماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار الحديث-القاهرة، دت.

٣. الأمن الفكري في ضواء السنة النبوية، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بحث مقدم لجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية، الدورة السادسة، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٥. التفسير القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف إبراهيم رمضان: دار ومكتبة الهلال-بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٦. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، الطبعة: الأولى، ج١-٥: ١٩٩٧م، وج٦-١٥: ١٩٩٨م.

٧. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: عالم الكتب-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٩. السياسة الشرعية، جامعة المدينة العالمية، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

١٢. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، دت.

١٣. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية، كُتبَتْ مقدمتُها ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

١٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية-دمشق بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٢هـ.

١٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٦. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين طه حمد وياسين بن حافظ قاري وفخر الدين الزبير علي، عمادة البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، دت.

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، أعوام النشر: ١٣٨٥-١٤٢٢ هـ= ١٩٦٥-٢٠٠١م.

١٨. تفسير ابن باديس=مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، حققه وعلق عليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١٩. تفسير البغوي=معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٠. تفسير الطبري=جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، توزيع: دار التربية والتراث-مكة المكرمة-ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر.

٢١. تفسير القرآن ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٢. تهذيب اللغة للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٥. زاد المسير زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٦. صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دار التأصيل- القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٢٧. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٢٨. فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية-مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٠-١٣٩٠هـ.

٢٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.